

من أجمل أعمال أدب البحر العربي وأغناها بالصور الأدبية المعبرة عن عالم البحر ، لهذا اقتطفت منها هذه الفقرة الطويلة : « ثم إن هذه الحيتان الثلاثة صارت تدور حول المركب ، وقد أهوى الحوت الثالث ليلع المركب بكل ما فيها ، فإذا بریح عظيمة ثارت فقام المركب ونزل على شعب عظيم فانكسر وتمزقت جميع الألواح وغرقت جميع الحمول والتجار والركاب في البحر . فخلعت أنا جميع ما كان على من الثياب ، ولم يبق على غير ثوب واحد ، ثم عمت قليلاً فلحقت لوحاً من ألواح المركب وتعلقت به ، ثم إني طلعت عليه وركبته ، وقد صارت الأمواج والرياح تلعب بي على وجه الماء وأنا قابض على ذلك اللوح ، والموج يرفعي ومحطني وأنا في أشد ما يكون من المشقة والخوف والجوع والعطش ، وصرت ألوم نفسي على ما فعلته ، وقد تعبت بعد الراحة وقلت لروحي :

- يا سندباد يا بحري أنت لم تتب ، وكل مرة تقاسى فيها الشدائد والتعب ، ولم تتب عن سفر البحر ، وإن تبت تكذب في التوبة ، فإفاس كل ما تلقاه ، فإنك تستحق جميع ما يحصل لك » (١٣) .

وتقدر للسندباد البحري النجاة والتوبة عن أسفاره البحرية بعد مغامرة مع الشياطين . وتنتهي قصة رحلاته البحرية نهاية سعيدة بأن يتزوج من ابنة شيخ التجار ويجمع أموالها بأمواله ، ويستقر أخيراً في بغداد ، ويهب السندباد الحمال بعض أكياس الذهب لقاء حسن استماعه لقصص رحلاته البحرية . وإنما حقاً لأجمل القصص في أدب البحر العربي القديم ، وأهم قصص البحر في ألف ليلة وليلة ، كماً وكيفاً ، لما تضمنته من رؤى مختلفة لعالم البحر . وتحتوي ألف ليلة وليلة على عدد كبير من قصص البحر الأخرى ، يكرر بعضها البعض ، أو يدور البعض الآخر منها حول البحر أو فوق البحر في حين يظهر البحر فيها ثانوياً وهامشياً لأنها تستهدف الوعظ الديني أو الأخلاق . لذا ستركز اهتمامنا على القصص البحرية التي تدخل في أدب البحر ، وتقدم رؤى مميزة لعالم البحر ، ونستبعد تلك القصص المكررة أو التي لا يمثل البحر فيها عالماً أساسياً ، لأنها لا تعنى بالتعبير عن عالم البحر قدر عنايتها بالموعظة الدينية أو الأخلاقية ، وهي كثيرة ، مثل « حكاية أبي قير الصباغ وأبي صير المزين » التي تقع في بحر الإسكندرية ، وقصة « بلوقيا » الذي دهن جسمه بسائل عشبي وسار فوق مياه البحار السبعة المتفرعة من « حكاية حاسب كريم بن دانيال الحكيم » ، و « حكاية بدر باسم ابن الملك